الموقف السابع

السمات المميزة للواقعية الإسلامية

قدم الدكتورهويدى العديد من السمات والخصائص التى تميز الواقعية الإسلامية عن غيرها من الواقعيات الفلسفية، وهى السمات التى حددها فى العديد من المؤلفات والمقالات التى عبرت عن الواقعية الإسلامية التى ينتهجها، وفيها أشار إلى العديد من السمات مثل التكافؤ، والمواءمة، والتفاؤل، والثورية، والتفاعلية، والحيادية، والتسامح والكلية وغيرها، وهذه السمات لاتتوفرمجتمعة فى أى مذهب واقعى، مثل الواقعية الساذجة أو الواقعية الجديدة أو الواقعية المنطقية أو الواقعية التجريبية، بصورة مكتملة كما هو الحال فى الواقعية الإيمانية التى ينتهجها الدكتور هويدى،وهذه السمات هى:

١ـ التكافؤ

تأتى هذه السمة عند هويدى بمعنى المساواة والتساوى، وهى تشير من الناحية الفكرية إلى وحدة العقل البشرى وتساويه بين الجميع، وفى الإتجاه الواقعى الإسلامى يدل التكافؤ على قدرة العقل العربى على التفلسف مثل باقى الشعوب، كما تظهر سمة التكافؤ فى فكرة هويدى فى الجمع بين الأخلاق والسياسة، والقول بفكرة التساوى بمعنى المساواة بين عقول جميع الشعوب، وهى تشبه فكرة ديكارت أن العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس. ونفس المعنى فى الحديث النبوى الداعى إلى التساوى وعدم التفضيل بين جنس وآخر فى قوله:كلكم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على أعجمى ولا أعجمى على عربى إلا بالتقوى.

والتكافؤ قد يأتى بمعنى المساواة والتساوى، وهو المعنى الذى عبر عنه ابن خلدون عند وصف العلوم العقلية بالطبيعية، أوفكرة تساوى العلوم والأفكار التى عبر عنها هويدى، على اعتبار أن النظر الفلسفى أمر طبيعى يهتدى إليه الإنسان بمداركه البشرية من حيث هو إنسان مفكر، ليؤكد على عمومية النظر الفلسفى وقدرة العقل عموماً على النظر والحكمة، فلا يمنع

شعب من البحث فى العلوم العقلية، وهنا رفض هويدى فكرة أحمد أمين وبعض المستشرقين الذين قصروا البحث الفلسفى على الفكر اليونانى وحده لقدرته على التفكير الفلسفى المنظم. فيعلن ذلك هويدى صراحة بقوله: ونحن لا نميل إلى هذا الرأى إذ أن مرد هذا الاختلاف بين الشعوب يرجع إلى مدى ازدهار البيئة الاجتماعية والعقلية التى قدر لشعب من الشعوب أن يوجد فيها فساعدته على تنمية ما لديه من إمكانية النظر العقلى.

ثم يؤكد هويدى هذه الفكرة بقوله: نحن أبناء القرن العشرين لا نؤمن وما ينبغى أن نؤمن بوجود هذا السّلم الذى طاب لبعض الساسة والمفكرين أن يضعوا فى أعلى درجاته شعوباً وأجناساً بعينها، وطاب لهم أن يضعوا شعوباً وأجناساً أخرى فى أحط درجاته، بل نؤمن بأن الشعوب كلها سواء فى قدرتها على التفكير بجميع ألوانه بما فى ذلك التفكير الفلسفى المنظم. نحن أهل تسوية لأننا نؤمن بالتساوى بين الأجناس فى العقل والفهم والحقوق، ونحن أهل تسوية أيضاً لأننا نؤمن بضرورة التكافؤ فى الفرص بين الشعوب وبين أفراد الشعب الواحد أيضاً. كما أنه رفض قول بعض المستشرقين والمفكرين العرب الذين زعموا أن العقلية العربية أحط فى معدنها أو أنها تختلف فى صفاتها العقلية الموروثة عن صفات الشعوب الأخرى.[٧٧]

٢ـ المواءمة

وهى عند هويدى تحمل معانى الوحدة والترابط والاتساق، كما تحمل معنى التوافق مع الآخر ومع المجتمع، لأن المواءمة منهج وأداة لتحقيق الجمع، أو الترابط والتفاهم أوالتوافق والإستفادة من عنصرى الأصالة والمعاصرة، أى أصالة التراث وحضارة الغرب المعاصرة.وبالتالى فالمواءمة سمة لكل فكر واقعى يرتبط بحاجات المجتمع،كما يرتبط بكل فكر يجمع بين الذاتية والموضوعية،ولا يفصل بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى وما هو إلهى، فالمواءمة عند هويدى فكرة ومنهج وأداة لتعميق الواقع فى جميع الإتجاهات دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا بهدف تحقيق الوعى العام.

---

٧٧. يحيى هويدى: محاضرات فى الفلسفة الإسلامية. دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦، ص٩-١١.

وقد ردد هويدى فكرة المواءمة فى مقالة بعنوان: مفهوم الحقيقة فى الثقافة الإسلامية، وفى مقالة أخرى بعنوان: نحو فلسفة قرآنية. وفى هذه المقالات أشار هويدى إلى كيفية استخدام فلاسفة العرب والإسلام مفهوم المواءمة ليدل على معانى الإتفاق فى الرأى والمذهب، والتوافق السياسى والإنتماء الحزبى، كما أشار هويدى إلى أهمية فكرة المواءمة ومجالات تطبيقها خاصة فى الفكر السياسى الإسلامى فى معانى الخلافة والأمانة والعلاقة بينهما، واعتبار الولاية والإمامة مسئولية وأمانة أداء، فالمواءمة هنا تشير إلى أن تحملنا للأمانة يعنى الإلتزام بتطبيق شرائع الإسلام فى حياتنا باعتبار أن تلك الشريعة تتواءم دائماً مع واقع المجتمع الحى المتحرك، وأن ذلك من أهم دعائم البعث الفكرى والحضارى بذلك المعنى الدينى والإجتماعى.

وتأتى المواءمة فى فكر هويدى بمعنى الجمع بين النظر والعمل من أجل تحقيق الواقعية التقدمية، على اعتبار أن المفكر التقدمى هو الذى أبى إلا أن يقف عند أعمق مستويات الحياة، ذلك المستوى الذى يتجاوز النظر الفلسفى المحدود إلى الموقف الفلسفى العميق الذى لا تنفصم فيه حياة المفكر النظرية عن حياته للعملية، ومعنى ذلك أن المواءمة ليست مجرد فكرة نظرية بل هى موقف عملى لا يتنازل الفيلسوف فيه عن المبدأ أو الفكر مهما كان السبب، إنه موقف يؤكد إنسانية الإنسان الذى دائماً ما يدافع عن كرامته كإنسان وكرامته كمواطن، وهذا المعنى هو الذى يؤكده هويدى حين يقول: من الواجب أن نكرم أنفسنا بأن نكرم المواطن فينا، بل وأن نكرم كل مواطن فينا، وأن ننظر مثله إلى الإهانة التى تلحق بأى مصرى على أنها موجهة للمصريين جميعاً.[٧٨]

فكانت المواءمة بهذا المعنى هى التطبيق العملى للواقعية الإسلامية التى يطلق عليها هويدى مسمى الفلسفة الثورية أو فلسفة التجربة والفعل فيقول: إن الفلسفة الثورية عندى هى الفلسفة الواقعية، ونحن ثوريون واقعيون فى طريقة معالجتنا لمشاكلنا، وفى تحديد اتجاهنا العام، وفى السير ونظرتنا العامة إلى الوجود سواء عالم الأشياء أوعالم الأشخاص، أى أن المواءمة بين عالم الواقع والإنسان ضرورة لأن الفلسفة الواقعية لا بد أن تبدأ من الواقع وتنتهى بالإنسان من أجل الوقوف على أبعاد الواقع ومشاكله التى

---

٧٨. محمد عثمان الخشت: مجلة أوراق فلسفية. يوليو- ديسمبر ٢٠٠١، ص١٥٦.

يجب أن يتفاعل معها الإنسان وفق مبدأ المواءمة، وهذا التفاعل هو الذى يسميه هويدى بالموقف الفلسفى لأن الموقف الفلسفى تميزه حركتان من حركات الفكر، حركة من الخارج إلى الداخل أو من الواقع إلى الذات، وحركة ثانية من الداخل إلى الخارج أو من الذات إلى الواقع، وهذه الحركة الدياليكتيكية تحتاج دائماً إلى درجة من المواءمة أو الموافقة بمعنى الإتفاق والرغبة الحقيقية فى المعرفة.[٧٩]

٣ـ التفاؤل

اتسمت فلسفة هويدى فى كثير من جوانبها الواقعية بالتفاؤلية والأمل، هذا رغم العديد من مواقفه النقدية لسائر الفلسفات الحديثة والمعاصرة بمختلف اتجاهاتها، كما تأكدت هذه السمة فى مواقفه السياسية وتصوراته بشأن المستقبل العربى ومنذ قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ وحتى الآن. حيث يؤكد من خلال هذا التفاؤل أن المستقبل سيشهد تطوراً وبعثاً جديداً للإنسان العربى، وأنه سيشهد اتجاهاً نحو تطبيق جديد للمبادئ الإسلامية، ونحن الآن نجد ذلك واضحاً فى الدعوات التى تتردد فى المؤتمرات والمحافل الدولية من ضرورة تجديد الخطاب الدينى وقابلية الإسلام للتطبيق والاستفادة منه، والدعوة إلى حوار الأديان والحضارات.

ويعبر هويدى عن علة تفاؤله من خلال صور متعددة ظاهرة مثل صدق التدين والثقة بالنفس وبالله،وظهور الميل إلى التفلسف، وكثرة أعداد الموحدين فى البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وفى ذلك يقول: إن الفيلسوف الواثق من قوة استدلالاته هو الذى يرى بعين البصيرة ما لا يراه أصحاب الحواس والعقول، وأن العالم فى أيامنا يقترب أكثر من أى وقت مضى من مرحلة وضوح الرؤية و سينتهى به الأمر قريباً إلى اعتناق عقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد، وإلى النزول بها إلى أرض التطبيق العملى بعد أن ظلت على الأقل أربعة عشر قرناً من الزمان مجرد عقيدة نظرية لم تظفر روحها بالتطبيق الشامل والممارسة الفعلية الواقعية والتى تنأى بها عن كل المظاهر الشكلية والتأويلات الحرفية الضيقة التى لم تمس جوهر العقيدة.[٨٠]

---

٧٩. يحيى هويدى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة. النهضة المصرية، ١٩٩٩ ص٢١٧،٢١٨.

٨٠. مصطفى النشار: رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة. دار قباء القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٧٨،٢٧٩.

وهذا التفاؤل هو الذى دفع هويدى إلى القول: أنه فى القريب العاجل سيشهد العالم تحولاً فى المعتقدات، وأن الأمر سينتهى باعتناق التوحيد وتسود وحدة العقيدة. ويأمل أيضاً بأن يرى تحقق تلك الصورة النقية للإسلام والبعيدة عن أى تفسير متطرف يركز على الشكل دون الجوهر، ولكنه لا ينسى أن يربط تحقق ذلك الأمل بمشيئة الله تعالى حينما أرجعه لإرادة الله ومشيئته، وقال فى صورة متفائلة وواثقة : فليس ذلك على الله ببعيد. ويؤكد على أن الإرادة الإلهية هى القادرة وحدها على ذلك، وأن هناك عوائق بشرية وأطماع إنسانية تحول دون تحقيق ذلك مثل انتشار سوء الفهم لروح العقيدة الإسلامية، أو فى الأفراد الذين يحفظون ويعرفون نظرياً ما لا يطبقونه عملياً فى حياتهم، وأن ثمة خللا فى تلك الرؤية التى تحاول التوفيق بين المثال والواقع دون أن تفسح مجال للربط بين الواقع والممكن، ثم إذا ما أصبح ذلك الممكن يوماً هو الواقع يمكن بعد ذلك الانتقال منه إلى المثال، فالتفاؤل لا يتحقق إلا من خلال التفاعل الحى والمعايشة التى تتحقق بالاتجاه نحو الواقع بكل أبعاده.

وفى رأى هويدى يتنوع مفهوم التفاؤل بين المجال الدينى والسياسى وكذلك المجال الفلسفى، ففى ختام مقدمته لكتاب دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة يقول: وبعد، فإنى شديد الأمل أن تؤدى هذه الدراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة التى أقدمها اليوم لأول مرة إلى القارئ العربى بوجه عام وإلى طالب الدراسات الفلسفية بوجه خاص الغرض المنشود منها، وهو تمكين حب الحكمة أو الفلسفة فى قلبه وتحريك اهتماماته الفكرية والثقافية والسياسية جميعاً؛ لأنى أومن أن كل هذا متشابك ومتصل وأنه ليس ثمة علم غير الفلسفة يستطيع أن يقدم هذه النظرة الشمولية إلى الحياة ويحقق من وراء دراسته هذه الأهداف كلها، وهكذا يمكن أن تتحقق سمة التفاؤل وتصبح أداة فعالة فى تحقيق التثقيف الفلسفى العام وانتشار الفكر الفلسفى فى مصر والعالم العربى كما يأمل هويدى ويتفاءل به.[٨١]

٨١. يحيى هويدى: مقدمة كتابه: مقدمة فى الفلسفة العامة،مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦

٤ ـ التفاعلية

ظهرت سمة التفاعلية فى مواقف يحيى هويدى الفكرية العديدة، وفى نظرته إلى الواقعية الجديدة التى تهدف إلى تغيير الواقع بالفعل وإثبات أن التقدم والتغير لا يمكن أن يحدث دون تحقيق التفاعلية، وفى مقدمة الطبعة الخامسة من كتابه مقدمة فى الفلسفة العامة يقول هويدى: اليوم وأنا أقدم الطبعة الخامسة لا بد أن أشير إلى أنه قد انقضى الآن خمسة عشر شهراً على العدوان الصهيونى الذى وقع على الأرض العربية يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، لكن الدرس الذى على الشباب العربى أن يعيه هو أنه كما انتصرنا على العدوان الأول (يقصد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦) فإننا بعون الله سننتصر على العدوان الثانى لا بقوة إيماننا فحسب ولا بقوة السلاح الذى وفرنا وما زلنا نوفره بعد الهزيمة التى حلت بنا، بل بتعميق حياتنا وأخذها مأخذ الجد، أى بالتفاعل والتعاون بين الجميع لتحقيق النصر.

ويرجع هويدى نشأة الفلسفة الإسلامية وازدهارها إلى دور وأهمية العملية التفاعلية كروح دافعة للفكر والفعل، وكان لها دورها فى تحقيق عملية التأثير والتأثربين البيئة العقلية والإنسان العربى حيث ساهمت التفاعلية فى تنمية تفكيرهم الفلسفى، وكانت السبب وراء أصالة التفكير الفلسفى فى الإسلام.[٨٢]

وتظهر السمة التفاعلية بوضوح مرة ثانية فى فلسفة هويدى الواقعية، حين يدعو للتواصل والتفاعل الحى مع التراث، وحينما يؤكد على الإحساس العميق بأزمة الإنسان المعاصر الذى يعانى الغربة والانفصام وافتقد قيمة التفاعل الذى يحقق توافق الفكر مع نفسه ومع الآخر، فهذا التفاعل الحقيقى يجعل الإنسان لا يقنع بتأمل ذاته او بتأمل الحياة من بعد أو الاكتفاء بتفسيرها، بل لابد أن يتجاوز هذا الدور إلى دور آخر يتفاعل فيه مع الحياة تفاعلا إيجابيا ويصبح فيه مكلفا بتغيير وجه الحياة أو إعادة تشكيلها من جديد.[٨٣]

---

٨٢. يحيى هويدى: محاضرات فى الفلسفة الإسلامية. النهضة المصرية القاهرة ص ١١-٢١.
٨٣. يحيى هويدى: الفلسفة فى الميثاق. دار القلم ١٩٦٥ ص ٢٢.

ويأتى التفاعل فى الفلسفة الواقعية عند هويدى بمعنى التلاحم بين مستويات الوجود، ففى مقدمة الطبعة السادسة لكتابه: مقدمة فى الفلسفة العامة يقول هويدى: إن هذا التلاحم بين الوجود الخاص والوجود العام فى هذا العصر الذى نعيش فيه لا يعنى أبداً تآخياً دولياً، لأنه لم يقم للأسف إلا على أساس من التناقضات والصراعات : صراعات بين الطبقات، وصراعات قومية وصراعات أيديولوجية. وكل هذه الصراعات بمثابة دعوة موجهة إلى الإنسان لتعميق وجوده وصقل وعيه وذلك ليتبين طريقه وسط كل هذه التناقضات، وليوضح لنفسه أولاً أين يضع قدمه، وما هى حدود مسئوليته فى إزالة الغبار من طريقه وطريق الآخرين. وليست هذه الدعوة فى صميمها إلا دعوة للتفلسف الإيجابى والتفاعل الذى يجمع الأفراد ويوحد أهدافهم ويشحذ هممهم.

كما تأتى التفاعلية بمعنى التواصل والإنفتاح على ثقافة العصر، فى نداء هويدى الدائم إلى عدم الفصل بين المستويات لا بمعنى الطبقات بل بمعنى مستوى الوجود فى مقابل الفكر، ومستوى الإنسان فى مقابل الواقع، فهو ينادى بالتواصل والاتصال أى بالتفاعل بين هذه المستويات، ولهذا تأتى فكرته عن المحافظة على المستويات والتلاحم بين الوجود الخاص والعام الذى يستلزم عنده التقارب الثقافى بين الفكر العربى والفكر الغربى، ولا يعنى ذلك بالطبع الانبهار به أوالخضوع له ومسايرته، بل النظر إليه بعين ناقدة واعية، مع ضرورة مراعاة الحفاظ على المسافة بيننا وبين الحضارة الغربية وما قدمته للإنسانية. وهذا هو ما يعنيه هويدى بضرورة المحافظة على المستويات بحيث لا تختلط بعضها ببعض.[٨٤]

ويطلق هويدى سمة التفاعلية بهذه المعانى التى سبق ذكرها على العديد من سمات الواقعية الإسلامية ذات الطابع الفلسفى،ويطلق عليها مسمى ديالكتيك النظر والتطبيق، حيث يجعل التفاعل الديالكتيكى بين الثقافة العصرية وزيادة الإنتاج أساسا عمليا لتحقيق تصور الدولة العصرية الحديثة التى يحلم بها، ولهذا يؤكد مرارا على أن فلسفة هذه الدولة يجب أن تقوم على التفاعلية أى على الديانكتيك الحى بين النظر والتطبيق، أو بين الكم والكيف الذى هو السبيل لتوسيع قاعدة الثقافة العلمية وتعميقها وربطها بمشاكل

---

٨٤. محمد مجدى الجزيرى: الهموم الحضارية عند الدكتور يحيى هويدى. مجلة أوراق فلسفية، ص ١٠١.

المجتمع. وعلى ذلك تصبح التفاعلية كما يقول هويدى هى أداة التطبيق العملى للفكر الإشتراكى أو الثقافة الإشتراكية حيث يشعر الجميع بقيمة أو فائدة التطبيق الإشتراكى القائم على التفاعلية فى مواجهة الصراعات الطبقية أو إشباع الحاجات المجتمعية، وذلك لأن الجميع ومن بينهم المثقفون يشاركون فى حل مشاكل هذا التطبيق ويشعرون بعدم وجود انفصال بين الشعارات التى يرفعها بعض الإشتراكيين وبين أسلوب حياتهم. ويرى هويدى أن هذه الثقافة الإشتراكية القائمة على التفاعل هى وحدها التى تربى لنا جيلا جديدا من متذوقى القراءة والمسرح والفن، وتستطيع بالتالى أن تنفذ من خلال هذه الأوعية إلى روح الجماهير فتؤثر فيهم وتجعل منهم مبشرين بأيديولوجية المجتمع.[٨٥]

٥- الحيادية

تعتبر الحيادية من أهم السمات المميزة للواقعية الإسلامية التى قدمها هويدى فى مؤلفه عن الحياد الفلسفى، وقد جذبت هذه السمة العديد من الباحثين المعاصرين فى مقدمتهم المفكر العراقى على حسين الجابرى فى مقالته بعنوان: هويدى بين حيادية الفكر وانحياز الفلسفة، حيث تناول رؤية هويدى الحيادية لا بمعنى العزلة أوالسلبية، بل بالمعنى الإيجابى الذى يعنى الموقف الفلسفى المحايد فى سعيه الدائم للتوفيق بين وجهات النظر المتعارضة، أو فى تقديم الحلول الوسط القائمة على الوعى بالمواقف. ولهذا ظهرت فلسفة هويدى الحيادية كمحاولة لتعميق نظريته فى الفلسفة الواقعية الإسلامية.

وقد حدد هويدى ملامح هذه الفلسفة الحيادية بقوله: إن مهمة الفلسفة الحيادية الرئيسية هى أن تقدم حلولاً إيجابية تتسم بالصدق والتحليل الجاد لطبيعة الأشياء، والابتعاد عن المذهبية فى التفكير، وأن الفلسفة الحيادية تعتمد على التحليل السليم من أجل الوصول إلى حل يتفق مع طبيعتنا وظروفنا، وينبع من واقعنا الإجتماعى.

---

٨٥. يحيى هويدى: فلسفة الدولة العصرية. مقال فى مجلة الفكر المعاصر يوليو ١٩٦٨، وفى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة. دار الثقافة للنشر ١٩٩٩ ص ٣٤٢-٢٤٤.

والحيادية الفلسفية لا تعنى مجرد التوافقية أوعدم الإنحياز، بل تعنى الموقف الذى يتميز بالثقة بالنفس والإعتزاز، وهذا المعنى عبر عنه هويدى خير تعبير فى كتابه حياد فلسفى حين ذكر أن الأمة العربية اليوم بحاجة أكثر من أى يوم مضى إلى معرفة ذاتها والثقة بنفسها والإعتزاز بمواهب أفرادها واستعداداتهم، لكن هذا وحده لا يكفى، إذ أن حاجتها إلى معرفة ظروفها واستكشاف واقعها أقوى وأشد.[٨٦]

والفلسفة الحيادية عند هويدى ليست فلسفة سلبية أو تشاؤمية، بل هى فى حقيقتها فلسفة المواقف الإيجابية لأنها تعتمد على المبادئ والقيم الأخلاقية والدينية عند التطبيق أوعند دراسة منطق الأشياء والأفعال، وبالتالى فهى دراسة ذاتية موضوعية قائمة على العلاقة الديناميكية ومجموعة الأحكام المعيارية والتى يسميها هويدى بالمعيارية الصحيحة فى الفن والأخلاق. وفى هذا الإطار يقول هويدى: إن الحكم المعيارى الصحيح لا يقوم فقط على إشراك الذات، ولا على تقديرها لشئ عن طريق الأحكام القيمية أو الجمالية، وبالتالى فالحيادية ليست مجرد أحكام تقويمية بل هى فى صميمها أحكام معيارية بمشاركة بشرية. وفى هذا المعنى يقول الجابرى: لقد تجاوز هويدى بهذه الطريقة الجدل العقيم بين العقليين والتجريبيين، ودعا إلى التعامل مع الأحكام المعيارية بما يقترب بها من روح الواقع الذى نعيش فيه، بحيث نربط الفعل بما يجب أ و بالفعل يكون، أو نربط بين ما ينبغى أن يكون بما هو كائن من غير أن نقع فى مأزق الأحكام الوصفية.[٨٧]

ومعنى ذلك أن الحيادية فى فلسفة هويدى الواقعية هى فلسفة وسطية، أو بين بين كما يقول، بمعنى أنها فلسفة قيمية تفاعلية تمنح القيم وجوداً يختلف عن الوجود الصورى العقلى الذى نجده لدى المثاليين، ولهذا فالحياد الفلسفى الذى ينادى به هويدى عبارة عن الرؤية الموضوعية للقيم والدعوة إلى الحرية الملتزمة التى تحتفظ دائماً بلغة التفاهم المشترك لصالح الجميع، ولهذا فإن الحيادية فى الموقف الفلسفى عند هويدى هى موقف وسط بين الفرد والمجتمع، وهى تنشأ من الاعتقاد بأن الفرد يمتد بجذوره فى المجتمع امتداداً طبيعياً لا قسر فيه حيث يشبع الإنسان غاياته وحاجاته وفق مبدأ حرية الاختيار الذى تؤمن به الفلسفة الحيادية، ونحن نلاحظ أن الحيادية

---

٨٦. يحيى هويدى: حياد فلسفى.دار القلم ١٩٦٣ ص ٤٥.

٨٧. على حسين الجابرى: هويدى بين حيادية الفكر وانحياز الفلسفة. مجلة أوراق فلسفية، يوليو-ديسمبر ٢٠٠١، ص١٣٥،١٣٦.

فى فكر هويدى لا تتعارض بحال مع سمة التفاعلية لأن كلاهما يتطلب الوضوح والوعى وتحديد الموقف وبالتالى فالحياد كفكر لا يتحقق إلا بتفاعل الذات مع الموضوع، والفرد مع المجتمع، والوعى مع الواقع، والتراث مع المعاصرة.

ومن هذا المنطلق يمكن وصف الفلسفة الحيادية عند هويدى بأنها الموقف الوسط الناتج عن الوعى والفهم والمشاركة، وهذا الموقف يشبهه هويدى بموقف المجاهد أو الناقد، وبأنه موقف منحاز، لأنه ليس موقفاً سلبياً بل هو موقف ينتمى إلى قيم العدالة والمساواة والفضيلة، وإلى قيم المنطق والحق ويقوم فى نفس الوقت على موقف نقدى،لأن هذا الموقف المحايد هو الذى جعل هويدى ينتقد سائر الإتجاهات الفلسفية التى تتعارض مع الواقعية الإسلامية، وبحيث يكشف هذا الموقف الحيادى عن مدى اخفاق الفلسفات الغربية فى فهم قضايا الإنسان العربى، ومثاله على ذلك نقده للفلسفة الماركسية والفلسفة الوجودية التى لاقت قبولاً من بعض فئات الشباب العربى، ولهذا وقف هويدى بفلسفته الحيادية ليحاكم الماركسية والوجودية وغيرهما فى ضوء معايير واقعيته الإسلامية.[٨٨]

٦- العلمية

الواقعية الإسلامية عند هويدى تجمع بين الفلسفة والعلم فى الغاية والهدف، وتميز بينهما فى المنهج ومعيار الصدق واليقين،وطريقة النظر إلى الموضوع،ومع ذلك أوجب هويدى ضرورة أن تتسم الواقعية الإسلامية بسمات المنهج العلمى لأن هدفها التواصل مع العصر وتحقيق الدولة العصرية القائمة على الثقافة العلمية من جهة، وبناء قاعدة علمية وبحثية تقوم على التجريب والإحصاء من ناحية أخرى. وقد ظهر ذلك واضحا عندما حدد هويدى غايات العلم التى حصرها فى البحث عن الحقيقة و بناء الإنسان وانتشار التثقيف الفلسفى واحترام العلوم وخاصة تلك التى تعتمد فى أبحاثها على التجربة وعلى الإحصاء والرياضيات.

وفى هذا الإطار لم يوافق هويدى هؤلاء الذين حصروا غاية العلم فى مجرد كشف العلل الغامضة وراء الظواهر وأن كل ما يستطيعه الإنسان

---

٨٨. المرجع السابق. ص١٣٢،١٣٣.

هو أن يصل إلى معرفة الروابط القائمة بين هذه الظواهر، وأكد هويدى على رأى هيوم فى أن الهدف من العلم هو الكشف عن القانون العلمى وليس عن العلل، وأن نجاح العلم متوقف على الثقة بالعقل البشرى وبقدرته على إخضاع الواقع ثم كشف العلاقات الثابتة بين الظواهر، وذلك بدلا من السعى إلى بحث قوى المادة ومدى فاعليتها والنظر إلى المادة على أنها مجموعة من الذرات النووية أو الإلكترونات.

ولقد ظهرت السمة العلمية فى واقعية هويدى الإسلامية عندما بحث علاقة الفلسفة بالعلم مؤكدا على أن الفلسفة هى علم الوجود الكلى، أو المطلق الذى يصل إليه الإنسان بعد أن يكون قد تجاوز مرحلة الجزئيات فى مرحلة حياته الجارية، وخلص إلى النظر والتأمل، أما العلم فهو غير ذلك تماما لأن العلم والفلسفة يختلفان فى المنهج والموضوع رغم اتفاقهما فى الغاية المشتركة وهى البحث عن الحقيقة، ورأى هويدى أن الفلسفة هى علم الوجود الكلى بما هو كذلك، وأن موضوعها هو الكون كله بجميع ظواهره، بما فيه مركز هذا الكون وهو الإنسان، أما العلم فهو يقيد نفسه ويختار لنفسه ميدانا محدودا هو ميدان الظواهر الجزئية أو الخاصة فى الكون أو فى الإنسان، كما يجعل همه فقط البحث عن الصفات المشتركة بين هذه الظواهر واستخلاص القانون العام الذى يسيطر عليها. ولهذا رفض هويدى القول الشائع بأن الفلسفة تبدأ حيث ينتهى العلم.[٨٩]

ومن أجل ذلك اعتبر هويدى سمة العلمية فى مقدمة الأسس والمبادىء اللازمة لتحقيق المدينة الفاضلة التى سماها هويدى بالدولة العصرية وجعل المبدأ الإشتراكى هو الأساس الذى تقوم عليه هذه الدولة ويقول فى ذلك: إنه لا يتصور قيام دولة عصرية إلا فى مجتمع اشتراكى، لأن مقومات الدولة العصرية ليست مادية أو تكنولوجية فقط، بل هى فى المحل الأول إنسانية ديمقراطية، وهو الطابع الذى تفتقده المجتمعات الرأسمالية حيث يتسلط رأس المال الخاص على الحكم وعلى حياة الناس ومقدراتهم، وحيث فشل النظام الديمقراطى فى الدولة الرأسمالية لعدم ربطه بين الحرية السياسية والحرية الإجتماعية.

---

٨٩. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٩٧ ص ٤٨-٥١.

ويؤكد هويدى فى مقاله: فلسفة الدولة العصرية،على أن الدولة العصرية هى الدولة التى يأخذ حكامها وأجهزتها وأفرادها بالأسلوب العلمى، فى النظرة إلى الأمور وفى معالجتها للمشاكل، وتعمل بكافة الوسائل على أن تسود الثقافة العلمية الحقة بأهدافها الإنسانية الديمقراطية بين جميع أفراد المجتمع. ومعنى ذلك عند هويدى أن الثقافة العلمية هى المبدأ والأساس لقيام هذه الدولة العصرية ويقول فى ذلك: إن الثقافة العلمية ليست خيالية أومجرد تسلية أو ترفا لأنها عمل وكدح وعناء له طبيعة نوعية خاصة باعتبار أن العلم عمل ذهنى، والمثقفون بهذا الاعتبار كادحون ذهنيون، فى إشارة إلى أن هذه المدينة الفاضلة ليست هى مدينة الفلاسفة التى أرادها أفلاطون، لأن هذه المدينة التى سماها هويدى بالدولة العصرية تقوم أساسا على التصور الواقعى الذى يجمع بين المثالية والواقعية وبين الفكر والنظر والتطبيق.[٩٠]

٧- التسامح

لقد ظهرت هذه السمة واضحة فى فلسفة هويدى الواقعية، حين جعل التسامح فضيلة ووسيلة لتحقيق احترام الذات واحترام الواقع فى نفس الوقت، والتسامح عنده ليس مجرد قيمة خلقية بل طريقة ومنهج حياة، وهو الذى دفعه إلى تحديد موقف الفيلسوف الواقعى من العقل أو الذات، واعتبار أن الواقع هو المعلم للفكر وأن دائرته تتعدى دائرة الفكر، وكان مبدأ احترام الواقع دافعا له من أجل تطويره وتغييره، ورأى أن الفيلسوف الواقعى إذا تمثل بفضيلة التسامح فإنه سيبدأ من اللحظة التى يجد الشعور نفسه ملتحما مع موضوعه، وذلك لأن العلاقة بين الشعور وموضوعه عنده ليست مجرد علاقة معلول بعلة كما هو الحال عند الفيلسوف المادى، بل هى علاقة معية حين يجد الشعور نفسه فى مواجهة مع المادة ويجد المادة معطاة أمامه، ثم يجد نفسه مدفوعا بدافع التسامح إلى الإتجاه نحوها ويأخذ على عاتقه مهمة إكتشاف جوانبها، وبالتالى كما يقول هويدى يصبح حديث الفيلسوف الواقعى عن تغيير الواقع حديثا مشروعا ومقبولا، ويصبح احترامه للواقع شيئا مختلفا تماما عن الإستسلام له.[٩١]

---

٩٠. يحيى هويدى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة. دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٩٩ ص ٣٣٨-٣٤١.

٩١. يحيى هويدى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة. دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٩٩ ص ٢٢٥، ٢٢٦.

ولاشك أن سمة التسامح فى الواقعية الإسلامية مكتسبة من تعاليم الإسلام ومبادئه، وهى التى طبقها علماء الكلام فى مناظراتهم واعتبروها شرطا لصحة المناظرة، وبالتالى فهى سمة متحققة فى طابع الفكر الإسلامى الواقعى، كما تتحقق فى نفس الوقت كسمة متوازية ومتولدة عن قيم وفضائل عليا مثل التفاؤل والأمل والرحمة، ولهذا كنا نرى أستاذنا دائم الأمل والتفاؤل والتسامح فى نفس الوقت، لأنه يرى فى التسامح صورة التحقيق العملى لمبادئ الإسلام النقية والبعيدة عن التأويلات المتعصبة أو الضعيفة، فالتسامح يبعد عن تلك التفسيرات الباطنية المتطرفة والتى تركز فى الغالب على الشكل دون المضمون أو الجوهر، وبالتالى فالتسامح كما يرى هويدى كان متحققاً فى تأويلات المعتزلة والأشاعرة ومناظراتهم الكلامية مع خصوم الإسلام، وكان متحققا فى شرط الولاية أو الإمامة، كما كان متحققا فى شرط الإيمان الصحيح والعمل الصالح.

وهنا يحدد هويدى العديد من المعوقات التى يجب التغلب عليها لأنها تعوق تحقيق التسامح مثل سوء الفهم والتعصب والتفسير الخاطئ والتمسك بالظاهر ورفض التأويل، فالتسامح عند هويدى هو الذى يفسح المجال أمام الفكر ويدفعه إلى الإنطلاق نحو التوفيق بين المثال والواقع وفق قاعدة الإمكان من أجل أن ينفتح المجال إلى الربط بين الواقع والممكن وحتى يصبح ذلك الممكن يوماً ما هو الواقع ثم بعد ذلك يمكن الانتقال منه إلى المثال وهكذا.[٩٢]

ويؤكد هويدى على أن التسامح من أهم السمات التى اصطبغت بها الواقعية الفلسفية، والتوجهات السياسية فى مصر المعاصرة،وكذلك الفكر العربى المعاصر، ودليله على ذلك أن التسامح كان دافعاً لكل مفكر لكى يتأمل البنيان السياسى العربى وتحليل كتابات المفكرين والسياسين بروح التسامح الفكرى حتى ظهرت إيجابية تلك السمة فى استيعاب العديد من القضايا السياسية المعاصرة ذات الصلة بالأخلاق والدين والمجتمع، وكان على رأس هذه القضايا عند هويدى: قضايا الزعامة والصراع الفكرى والغزو الثقافى والأصالة والمعاصرة وقضية الديمقراطية والشخصية المصرية وصلتها بالقومية العربية، ومحاولة الإجابة على التساؤل: هل

---

٩٢. مصطفى النشار: رواد التجديد فى الفلسفة الكصرية المعاصرة فى القرن العشرين. دار قباء، القاهرة ٢٠٠٢، ص٢٧٩.

الإسلام دين ودولة أم أنه دين وأمة؟، وقد عبر عن ذلك العديد من رجال الفكر السياسى العربى الذين تناولوا قراءة خطابات جمال عبد الناصر وتحليل مواقفه السياسية وكيف غلبت سمة التسامح على هذه المواقف والتى تحققت فى مسعاه السلمى ومبادرة السلام المصرية، وسيادة التيار السلمى فى معالجة العديد من القضايا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، والنزعة نحو السلام.[٩٣]

٩٣. محمد نعمان جلال: التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة. الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧، ص٦-٩.